احرص على ما ينفعك

تأليف فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

ابن شهوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ**

(١) «صحيح مسلم»: (٤/ ٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤).

خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: يُبَيِّنُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ جُمْلَةً مِنَ الْأُمُورِ الْأَصِيلَةِ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَوَّلُ مَا يُطَالِعُنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ مِنْ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ، وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَقِلُّ عَلَىٰ حَسَبِ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ.

«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ**»: يُرِيدُ بِالْقُوَّةِ هَاهُنَا: عَزِيمَةَ النَّفْسِ، وَقُدْرَتَهَا عَلَىٰ أَنْ تُصَرِّفَ الْجَسَدَ مَعَهَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ

جَلَّ وَعَلَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ -بِالدَّرَجَةِ الْأُولَىٰ- مَا يَتَعَلَّقُ بِقُوَّةِ الْبِنْيَةِ، وَسَلَامَةِ الْجَسَدِ وَالصِّحَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ ابْتِلَاءً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُخْفِقُ وَيَفْشَلُ فِيهِ مَنْ آتَاهُ اللهُ الْقُوَّةَ وَالصِّحَّةَ، فَيُصَرِّفُهَا فِي ظُلْمِ النَّاسِ، وَفِعْلِ السَّيِّئَاتِ.

وَلَكِنْ «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ**» يُرِيدُ عَزِيمَةَ النَّفْسِ الَّتِي تَدْعُو إِلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَتَحُثُّ عَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَجْعَلُ الْإِنْسَانَ عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا يُرِيدُهُ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ.

«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»، وَحَتَّىٰ لَا يَتَصَوَّرَ إِنْسَانٌ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ -الَّذِي عِنْدَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَنْبَعِثُ إِلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَلَا يُوَاظِبُ عَلَىٰ طَلَبِ

الْخَيْرَاتِ، وَيَقَعُ مِنْهُ بَعْضُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْمُلِمَّاتِ- حَتَّىٰ لَا يَتَصَوَّرَ أَحَدٌ أَنَّ هَذَا لَا خَيْرَ فِيهِ؛ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»؛ أَيْ: فِي الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ خَيْرٌ، وَفِي الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ -أَيْضًا- خَيْرٌ.

وَهَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَهُمَا؛ إِنَّمَا تَعُودُ إِلَىٰ أَصْلِ الْإِيمَانِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ؛ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا فِي الْإِتْيَانِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ؛ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالِانْبِعَاثِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَتَمَامِ الْمُلَازَمَةِ لِلطَّاعَاتِ.

«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**».

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**»: وَهَذِهِ الْجُمْلَةِ هِيَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهِيَ أَسَاسٌ وَقَاعِدَةٌ

لِلْمُسْلِمِ، لَوْ أَنَّهُ الْتَزَمَ بِهَا؛ لَأَصْلَحَ اللهُ حَالَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَأُمُورِ الْآخِرَةِ.

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**»: لَا تُبَدِّدْ طَاقَتَكَ، وَلَا تُهْدِرْ وَقْتَكَ، وَلَا تُسْرِفْ فِي اسْتِعْمَالِ مَالِكَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ حَرِيصًا عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ.

وَهَذَا يَدْعُو إِلَىٰ النَّظَرِ فِي الْمَآلَاتِ -أَيْ: فِيمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ-؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ بَعِيدَ النَّظَرِ، يَنْظُرُ إِلَىٰ بَعِيدٍ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْأُمُورِ الَّتِي يَأْخُذُ بِهَا وَالَّتِي يَتْرُكُهَا، وَلَا يَنْظُرُ أَسْفَلَ مِنْهُ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**» وَالَّذِي يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي الْحَقِيقَةِ: هُوَ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِرَبِّهِ؛ بِأَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ، مُتَلَقِّيًا لِلْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمَعْصُومُ ﷺ بِالتَّصْدِيقِ، وَبِالتَّطْبِيقِ.

فَيَعْلَمُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِيُحَوِّلَهُ إِلَىٰ اعْتِقَادٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُؤْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طَرَفًا مِنَ الْعِلْمِ، يَكُونُ عِلْمًا نَافِعًا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا إِلَىٰ الْخَيْرِ وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ فَهُوَ كَالْفَتِيلَةِ -كَالشَّمْعَةِ- تُحْرِقُ نَفْسَهَا؛ لِتُضِيءَ لِغَيْرِهَا، فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا عَلِمَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، أَوْ قَامَ بِدَعْوَةٍ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ غَيْرُ مُلْتَزِمٍ بِمَا يَقُولُهُ، كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ -وَالْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَنَّهُ:

---

(١) «صحيح البخاري»: (٦/ ٣٣١، رقم ٣٢٦٧)، و«صحيح مسلم»: (٤/ ٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٩).

=

«يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ(١) بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَىٰ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

=

وفي رواية للبخاري: (١٣/ ٤٨، رقم ٧٠٩٨): «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ؟...» فذكره بنحوه.

(١) الْأَقْتَابُ: هِيَ الْحَوَايَا وَالْأَمْعَاءُ، وَالِانْدِلَاقُ: خُرُوجُ الشَّيْءِ مِنْ مَكَانِهِ، انظر: شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم»: (١٨/ ١١٨-١١٩).

وَالنَّبِيُّ ﷺ -كَمَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ- يُحَذِّرُ مِنْ أَنْ يُخَالِفَ الْقَوْلُ الْفِعْلَ.

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**»: اجْتَهِدْ فِي مَعْرِفَةِ بِدَايَةِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّنَا نُولَدُ، فَنَتَشَكَّلُ عَلَىٰ حَسَبِ مَعَارِفِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي نُولَدُ فِيهِ، وَهَذِهِ الْمَعَارِفُ لَيْسَتْ مُصَفَّاةً مِمَّا يَشُوبُ الْأَصْلَ مِنَ الْكُدُورَاتِ وَالشَّوَائِبِ.

فَمَا أَكْثَرَ مَا يَعْتَقِدُهُ النَّاسُ مِمَّا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الدِّينُ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِ مِنْ رَبِّنَا سُلْطَانٌ مُبِينٌ!!

فَكَثِيرٌ مِنَ الْعَقَائِدِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْغَيْبِيَّاتِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ؛ يَعْتَقِدُ النَّاسُ فِيهَا مَا لَا يُحِبُّهُ اللهُ وَلَا يَرْضَاهُ، بَلْ يَعْتَقِدُونَ مَا يُضَادُّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَهَذِهِ أَخَذُوهَا مِمَّنْ حَوْلَهُمْ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَتَكُونُ مِنَ الْبِدَعِ الْغَلِيظَةِ فِي الِاعْتِقَادِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُفْظِعٌ جِدًّا؛ فَأَنْتَ تَسْمَعُ كَثِيرًا كَلَامًا يُقَالُ، وَهُوَ: إِنَّ الصَّلَاةَ -مَثَلًا- لَيْسَتْ لَهَا قِيمَةٌ كَبِيرَةٌ فِي مُقَابِلِ نَقَاءِ الْقَلْبِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ!!

فَتَسْمَعُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: مَا دَامَ الْقَلْبُ صَحِيحًا سَلِيمًا؛ فَهَذَا كُلُّهُ لَا يُهِمُّ!! بَلْ رُبَّمَا تَهَكَّمَ عَلَىٰ الْمُصَلِّينَ، فَيَقُولُ: تُصَلُّونَ الْفَرْضَ، وَتَنْقُبُونَ الْأَرْضَ، وَهَذَا لَيْسَ بِمَدْعَاةٍ إِلَىٰ الطَّعْنِ فِي الصَّلَاةِ نَفْسِهَا؛ فَكَمْ مِمَّنْ هُوَ آتٍ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرِيفَةِ يَتَخَلَّفُ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَهَذَا لَا يَطْعَنُ فِي الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا يَطْعَنُ فِي الْعَامِلِ!!

فَهَؤُلَاءِ يَفْزَعُونَ إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الِاعْتِقَادَاتِ: أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ بِشَيْءٍ بِجِوَارِ مَا يَعْتَقِدُهُ الْقَلْبُ، أَوْ مَا يَسْتَقِرُّ فِي الْقَلْبِ؛ مِنَ النَّقَاءِ، وَالطُّهْرِ، وَالصَّفَاءِ، وَالْوَفَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ!!

وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ مَحْضٌ.

لَا يُهَوِّنَنَّ أَحَدٌ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ إِلَّا بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ، مَنْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ؛ فَهَذَا مِنَ النَّاجِينَ.

وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ إِنَّمَا تَكُونُ بِطَهَارَتِهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَطَهَارَتِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَطَهَارَتِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ؛ كَالْحَسَدِ، وَالْحِقْدِ، وَالْغِلِّ، وَالْغِشِّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَشْبَهَ.

فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ آفَاتِ الْقَلْبِ الَّتِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ؛ صَارَ قَلْبًا غَيْرَ سَلِيمٍ؛ فَلَا يُهَوِّنَنَّ أَحَدٌ مِنْ شَأْنِ طَهَارَةِ الْقَلْبِ، وَسَلَامَتِهِ.

وَلَكِنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

فَالصَّلَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالزَّكَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ صَرَاحَةً فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ** -أَوْ: **وَسَبْعُونَ**- **شُعْبَةً، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٦٣، رقم ٣٥).

=

فَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الْإِيمَانَ: اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ** -أَوْ: **وَسَبْعُونَ**- **شُعْبَةً، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»، وَهَذَا عَمَلٌ، إِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ بِغُصْنِ شَوْكٍ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ بِحَجَرٍ، أَوْ بِشَيْءٍ يُؤْذِي الْمَارَّةَ؛ فَإِنَّهُ يُنَحِّيهِ جَانِبًا.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ هَذَا الْعَمَلِ؛ فَقَالَ ﷺ:

=

والحديث في «الصحيحين»: «**صحيح البخاري**»: (١/ ٥١، رقم ٩)، و «**صحيح مسلم**»: (١/ ٦٣، رقم ٣٥)، بلفظ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ** [وللبخاري: وَسِتُّونَ] **شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**».

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»(١).

فَإِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهَذَا مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ.

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (٢/ ١٣٩، رقم ٦٥٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٢١، رقم ١٩١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وفي رواية لمسلم: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**»، وفي أخرىٰ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».

والحديث بنحوه في «صحيح مسلم» من رواية أبي برزة رضي الله عنه.

قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» هَذَا لَفْظٌ بِاللِّسَانِ، مَعَ مُوَاطَأَةِ الْقَلْبِ بِلَا مَثْنَوِيَّةٍ.

فَهَذَا نُطْقُ اللِّسَانِ، وَهَذَا عَمَلُ الْجَوَارِحِ.

«**وَالْحَيَاءُ** -وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ- **شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ**».

فَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ أَنَّ الْإِيمَانَ: اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْرِجُ الْعَمَلَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، هَذِهِ بِدْعَةٌ اعْتِقَادِيَّةٌ، سَمَّاهَا عُلَمَاؤُنَا بِـ «الْإِرْجَاءِ»، فَيَكُونُ الرَّجُلُ مُرْجِئًا غَالِيًا فِي الْإِرْجَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي: مَا الْإِرْجَاءُ؟!!

وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَوَرَّطَ فِي بِدْعَةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ مِنْ كُبْرَيَاتِ الْبِدَعِ الِاعْتِقَادِيَّةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ!!

وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ؛ مِنْ أَثَرِ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ مُجْتَمَعِهِ، وَكَذَلِكَ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي الدِّينِ فِي مُجْتَمَعِهِ، وَلَا يُحَذِّرُهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الشُّرُورِ، وَلَا يُبَيِّنُ لَهُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَيَتَوَرَّطُ فِي الْإِرْجَاءِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَجِدُهُ جَبْرِيًّا -أَيْضًا- فِي بَابِ الْإِيمَانِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ؛ حَتَّىٰ إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لَهُ: إِنَّكَ جَبْرِيٌّ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَفْهَمُ مَا تَقُولُ!!

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَحْتَجُّونَ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي أَتَوْا بِهِ، فَيَفْعَلُ الْمُنْكَرَاتِ، فَإِذَا

عُوتِبَ؛ يَقُولُ: كَتَبَ اللهُ عَلَيَّ ذَلِكَ!! فَيَجْعَلُ الْقَدَرَ مُحْتَجًّا بِهِ عَلَىٰ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

وَالْقَدَرُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِالْقَدَرِ؛ وَإِلَّا فَلَا يَصِحُّ لَهُ إِيمَانٌ، وَهُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ لَكِنْ لَا يُحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ الْمَعَاصِي، يَعْنِي: إِذَا ارْتَكَبَ الْإِنْسَانُ مَعْصِيَةً؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا ارْتَكَبَهَا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، هُوَ الَّذِي اخْتَارَ.

فِي الْأُمُورِ الِاخْتِيَارِيَّةِ: مَا يَقَعُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمِنَ الطَّاعَاتِ؛ إِنَّمَا يَقَعُ بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَيُوَفِّقُهُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

فَإِذَا اهْتَدَىٰ الْإِنْسَانُ الْهِدَايَةَ الْعَامَّةَ؛ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالْهِدَايَةِ الْخَاصَّةِ، وَبِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، وَالتَّبْصِيرِ لِأُمُورِ الدِّينِ؛ حَتَّىٰ تَقْوَىٰ عَزِيمَتُهُ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ.

فَالْقَدَرُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ؛ لَكِنْ لَا يُذْكَرُ عِنْدَ الْمَعَاصِي، وَإِنَّمَا يُذْكَرُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، يَعْنِي: إِذَا وَقَعَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مُصِيبَةٌ، وَأَصَابَهُ قَدَرٌ لَا يُلَائِمُهُ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَقُولُ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا-: «**قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**».

فَحِينَئِذٍ يُنْزِلُ اللهُ السَّكِينَةَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ لِيُدْفَعَ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَدَرٌ قَدَّرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِلِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَعَاصِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامٍ يَحْفَظُهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ، وَالْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَأَنَّ الْمَكْتُوبَ عَلَىٰ الْجَبِينِ لَا بُدَّ أَنْ تَرَاهُ الْعَيْنُ!!

إِنْ كَانَ يَقْصِدُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَدَرِ مُجَرَّدًا؛ فَهَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ رَبِّهِ فِيمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ؛ فَهَذَا مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**»: تَعَلَّمْ أُمُورَ الدِّينِ، اضْبِطْ أَحْكَامَ الِاعْتِقَادِ؛ فَهَذَا الْإِيمَانُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ رَاسِخًا عَلَىٰ أَصْلٍ عَرَفْتَهُ وَعَلِمْتَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ.

يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ؛ وَلَوْ كَانُوا حَاصِلِينَ عَلَىٰ أَكْبَرِ الشَّهَادَاتِ، وَأَعْلَىٰ الْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ؛ شَرْعِيَّةً أَوْ غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ.

يَعْنِي: لَوْ سَأَلْتَ إِنْسَانًا؛ فَقُلْتَ: مَا هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؟

وَمَا آخِرُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ بِهِ فِي آخِرِهَا؟

أَوَّلُ شَيْءٍ، وَآخِرُ شَيْءٍ: هُوَ «**أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ: أَنْ يَشْهَدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ.

هَذَا أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ: أَنْ يَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

وَآخِرُ شَيْءٍ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّنْيَا؛ «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

فَـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَوَّلُ شَيْءٍ، وَآخِرُهُ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ.

فَإِذَا سَأَلْتَ الْمُسْلِمَ، فَقُلْتَ لَهُ: مَا مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟

تَتَفَاوَتُ الْأَجْوِبَةُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يَعْنِي: لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ!!

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٣/ ١٩٠، رقم ٣١١٦)، من حديث: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.
والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٣/ ١٤٩، رقم ٦٨٧).

هَذَا لَوْ كَانَ؛ مَا ذُكِرَ فِي الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: «لَا رَبَّ إِلَّا اللهُ»!!

هُنَا أُلُوهِيَّةٌ، لَا رُبُوبِيَّة: «لَا إِلَهَ» أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ «إِلَّا اللهُ»، لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَإِذَا سَأَلْتَ الْمُسْلِمَ عَنِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي إِذَا كَانَتْ مَعَهُ، وَدَخَلَ النَّارَ، وَبَقِيَ فِي النَّارِ مَا بَقِيَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحَاسَبَ عَلَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَأَنْ يَتَطَهَّرَ؛ لِكَيْ يَلْحَقَ بِالطَّيِّبِينَ فِي دَارِ الطِّيبِ الْمَحْضِ، وَهِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ.. هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَوْ كَانَتْ مَعَ الْإِنْسَانِ، وَأُدْخِلَ النَّارَ، وَبَقِيَ فِيهَا مَا بَقِيَ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ.

لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مَنْ مَعَهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ؛ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، إِذَا سَأَلْتَهُ؛ يَقُولُ: لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ!! لَا رَبَّ إِلَّا اللهُ!!

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا حَاكِمَ إِلَّا اللهُ!!

وَهَذَا كُلُّهُ لَمْ يَقَعْ فِيهِ قَائِلُهُ عَلَىٰ الْجَادَّةِ وَالصَّوَابِ.

مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

لِمَاذَا نَقُولُ: «لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ»؟

لِأَنَّنَا إِذَا لَمْ نَقُلْ: «بِحَقٍّ»، وَقُلْنَا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَيْ: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ؛ جَعَلْنَا اللهَ ﷻ جَمِيعَ الْآلِهَةِ الْمَعْبُودَةِ، فَهُنَاكَ آلِهَةٌ كَثِيرَةٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

الْبَشَرُ يُعْبَدُونَ فِي بَعْضِ الدِّيَانَاتِ؛ بَلْ الْبَقَرُ يُعْبَدُونَ فِي الْهِنْدِ عِنْدَ الْهُنْدُوسِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ

الْأَصْنَامُ مَا زَالَتْ فِي أَوَاسِطِ أَفْرِيقِيَّةَ، مَا زَالَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا!!

الْهَوَىٰ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، يُطَاعَ فِي مُخَالَفَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَيُؤْخَذُ بِهِ فِي مُصَادَمَةِ الشَّرْعِ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فَصَارَ هَوَاهُ إِلَهًا مَعَ اللهِ.

هَذِهِ كُلُّهَا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ فَهُنَالِكَ مَعْبُودَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا؛ وَلَكِنْ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ مَعْبُودًا بِحَقٍّ، اللهُ وَحْدَهُ، «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

يَلْحَقُ بِهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ: أَنَّكَ عِنْدَمَا تَقُولُ: «لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ»؛ ذَكَرْتَ الْعِبَادَةَ، مَا هِيَ الْعِبَادَةُ؟

تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الطَّيِّبِينَ يُحِبُّونَ الْخَيْرَ، وَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنْ فَاتَهُمْ أَنْ يَبْحَثُوا عَنِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، لَمْ يُرْشَدُوا إِلَىٰ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُعْتَقَدِ، وَأُمُورِ الْإِيمَانِ.

فَإِذَا قُلْتَ لِإِنْسَانٍ طَيِّبٍ، فِي ظَاهِرِهِ الصَّلَاحُ، وَمُقْبِلٌ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ: مَا مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ؟ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَدِّدَهَا تَحْدِيدًا صَحِيحًا، وَإِنَّمَا يَجْعَلُهَا مُشْتَمِلَةً عَلَىٰ بَعْضِ الْأُمُورِ الْعِبَادِيَّةِ، وَيَتْرُكُ أُمُورًا كَثِيرَةً لَا يَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ.

يَعْنِي: سَيَقُولُ لَكَ: الْعِبَادَةُ: الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالزَّكَاةُ، وَالْحَجُّ.. فَيَأْتِي بِهَذِهِ الْأُصُولِ -وَهِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ- عَلَىٰ أَنَّهَا هِيَ الْعِبَادَةُ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي الْعِبَادَةِ!!

وَهَذَا خَطَأٌ مَحْضٌ يُفَوِّتُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ كَثِيرًا مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ: كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

لَوْ نَظَرْتَ إِلَىٰ هَذَا التَّعْرِيفِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ -رَحِمَهُمُ اللهُ-؛ لَعَلِمْتَ أَنَّ حَيَاتَكَ كُلَّهَا؛ حَتَّىٰ نَوْمَكَ، حَتَّىٰ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ.

طَعَامُكَ وَشَرَابُكَ، سُكُوتُكَ وَكَلَامُكَ، حَرَكَتُكَ وَانْبِعَاثُكَ، وَتَثْبِيطُكَ إِلَىٰ الْأَرْضِ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِبَادَةً للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِشَرْطِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِذَا كَانَ مَحْبُوبًا للهِ جَلَّ وَعَلَا.

يَقُولُ الْعُلَمَاءُ -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-: «الْعِبَادَةُ: كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ».

«وَالْبَاطِنَةِ»، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: اعْتِقَادُ الْقَلْبِ؛ عَمَلُهُ وَقَوْلُهُ، أَنَّ الْقَلْبَ يُحِبُّ وَيُبْغِضُ، وَيَرْجُو، وَيُشْفِقُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

هَذِهِ كُلُّهَا عِبَادَاتٌ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُحَرِّرَهَا للهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ مَعَ اللهِ؛ أَشْرَكَ بِاللهِ جَلَّوَعَلَا، أَمَّا إِذَا أَحَبَّ للهِ، أَوْ أَحَبَّ فِي اللهِ؛ فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ عِنْدَ اللهِ.

فَتَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَهِيَ مِنْ أَيْسَرِ مَا يَكُونُ؛ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا تَنْبَعِثُ نِيَّاتُهُمْ، وَلَا يَتَحَفَّزُونَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ ذَكَرٌ، لَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكْرَانُ مِنَ الرِّجَالِ، وَأَمَّا الْمُخَنَّثُونَ مِنَ الرِّجَالِ؛ فَإِنَّهُمْ

لَا يُحِبُّونَ الْعِلْمَ، وَلَا يُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ نَجَاتُهُمْ، وَسَعَادَتُهُمْ، وَفَلَاحُهُمْ دُنْيَا وَآخِرَةً.

فَهَذِهِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَلْحَقُ بِهَذَا النَّصِّ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ نَبِيِّنَا الْعَظِيمِ ﷺ.

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**»: تَعَلَّمِ الْعِلْمَ النَّافِعَ، وَاعْمَلِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تَكُونَ نِيَّتُكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ تَأْتِي بِهِ؛ أَنَّهُ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ: «**اللُّقْمَةُ يَضَعُهَا أَحَدُكُمْ فِي فِي** -أَيْ: فِي فَمِ- **امْرَأَتِهِ؛ لَهُ بِهَا صَدَقَةٌ**»(١).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ١٣٦، رقم ٥٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٢٥٠، رقم ١٦٢٨)، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، =

«**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١).

=

قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**».

وفي رواية لهما: «...، **حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**».

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (٦/ ١٣٢، رقم ٢٩٨٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».

«**ابْتِسَامُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»(١).

إِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ الْعَاجِزِ صَدَقَةٌ، أَنْ تُعِينَهُ عَلَىٰ رُكُوبِ دَابَّتِهِ، تَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَحْمِلُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ.

كُلُّ هَذِهِ عِبَادَةٌ؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِبَادَةً، فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَتَىٰ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ بِشَرْطِ أَنْ يَنْوِيَهُ: طَعَامُكَ، عِنْدَمَا تَنْوِي بِطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ أَنْ

---

(١) أخرج الترمذي في «**الجامع**»: (٤/ ٣٣٩، رقم ١٩٥٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**،... » الحديث.

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ١١٦، رقم ٥٧٢)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٥٨١، رقم ٢٣٢١).

تَتَقَوَّىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَأَنْ تَتَقَوَّىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ فِي دُنْيَا اللهِ؛ لِتَكُفَّ نَفْسَكَ عَنِ السُّؤَالِ، وَتَحْفَظَ مَاءَ وَجْهِكَ عَنِ التَّبَذُّلِ، وَكَذَلِكَ لِتَمُونَ أَهْلَكَ وَعِيَالَكَ وَمَنْ لَهُمْ حَقٌّ عَلَيْكَ.

إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ؛ كَانَ تَلَذُّذُكَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ مِنْ عَطَايَا رَبِّكَ عَلَيْكَ، مَعَ مَا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ تَوْجِيهِ ذَلِكَ لِلْخَيْرِ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ، فَيَكُونُ لَكَ بِهِ أَجْرٌ.

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا مَا هُوَ أَبْعَدُ عَنْ أَذْهَانِنَا مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، فَقَالَ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟!!

قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»(١).

فَسُبْحَانَ الْوَهَّابِ الْكَبِيرِ!!

فَكُلُّ هَذِهِ عِبَادَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَكُلُّ حَرَكَةِ الْحَيَاةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ عِبَادَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِشَرْطِ: أَنْ تُوَجِّهَ ذَلِكَ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ.

الْمُوَفَّقُونَ يُحَوِّلُونَ الْعَادَاتِ إِلَىٰ عِبَادَاتٍ، وَالْمَخْذُولُونَ يُحَوِّلُونَ الْعِبَادَاتِ إِلَىٰ عَادَاتٍ، هُوَ يُصَلِّي؛ وَلَكِنَّ نِيَّتَهُ بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ، وَفَهْمُهُ لِلصَّلَاةِ

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٢/ ٦٩٧، رقم ١٠٠٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

بِالسُّجُودِ للهِ، وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ: مَعْدُومٌ، فَهَذَا حَوَّلَ الْعِبَادَةَ إِلَىٰ عَادَةٍ.

وَأَمَّا الْمَوَفَّقُ؛ فَإِنَّهُ يُحَوِّلُ الْعَادَةَ إِلَىٰ عِبَادَةٍ، النَّاسُ يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، وَيَتَنَاكَحُونَ، وَيَلْبَسُونَ؛ وَلَكِنْ فِي إِطَارِ الشَّرْعِ: بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ تَصِيرُ عِبَادَةً للهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

«**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»: لِتَكُنْ اسْتِعَانَتُكَ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ، «**وَلَا تَعْجِزْ**».

إِذَنْ؛ مَعَنَا فِي الْفَاتِحَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: لَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ؛ فَمَدَارُ الدِّينِ عَلَىٰ هَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ، وَهُمَا: الْعِبَادَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**» يَعْنِي: إِنْ بَعَثْتَ فِي طَلَبِ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ لَدَيْكَ: فِي طَلَبِ وَظِيفَةٍ، أَوْ تِجَارَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ، فَلَمْ يُقَدَّرْ -لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَكَ- وَأَنْتَ لَمْ تُقَصِّرْ؛ وَلَكِنَّ اللهَ صَرَفَ عَنْكَ شَيْئًا قَدْ يَكُونُ شَرًّا عَلَيْكَ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَآلِ، وَحِكْمَةُ اللهِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.

«**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**» يَعْنِي: مِمَّا تَكْرَهُ؛ «**فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا**».

هَذَا اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ، وَهَذَا مِنَ اسْتِعْمَالَاتِ (لَوْ) الْمُحَرَّمَةِ؛ لِأَنَّ (لَوْ) يُؤْتَىٰ بِهَا أَحْيَانًا فِي الِاعْتِرَاضِ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «**لَوْ أَنِّي**

فَعَلْتُ؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا»، يُؤْتَىٰ بِهَا أَحْيَانًا لِلِاعْتِرَاضِ عَلَىٰ الشَّرِيعَةِ، عَلَىٰ الْأَحْكَامِ: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران: ١٦٨]، كَمَا قَالَ الْمُنَافِقُونَ عَنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ رضي الله عنهم.

عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ انْحَازَ وَانْخَذَلَ بِثُلُثِ الْجَيْشِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَوَقَعَ مِنَ الْمَقْتَلَةِ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَا وَقَعَ، قُتِلَ سَبْعُونَ، فَكَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾، فَهَذَا اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ الشَّرِيعَةِ، وَ(لَوْ) هَا هُنَا مُحَرَّمَةٌ.

وَكَذَلِكَ فِي الِاعْتِرَاضِ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ: «**لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ كَانَ كَذَا وَكَذَا**»، وَكَذَلِكَ فِي اتِّخَاذِ الْقَدَرِ حُجَّةً عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ: ﴿**لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فَهَذَا اسْتِعْمَالٌ لِـ (لَوْ) فِي الِاعْتِرَاضِ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ الْمَعَاصِي.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مَبْنِيًّا عَلَىٰ أَمْرٍ شَرْعِيٍّ يَكُونُ طَاعَةً للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ مِنْ تَمَنِّي فِعْلِ الْخَيْرِ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَىٰ الشَّرْعِ وَلَا عَلَىٰ الْقَدَرِ، وَلَا احْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا أَتَىٰ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ؛ فَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ؛ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ**»(١).

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَارِنًا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ؛ لِأَنَّهُ سَاقَ الْهَدْيَ، فَلَمَّا سَاقَ الْهَدْيَ؛ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٣/ ٢١٨، رقم ٧٢٢٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٨٧٩، رقم ١٢١١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ، فَيَكُونُ مُتَمَتِّعًا، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ -مِمَّنْ لَمْ يَسُقِ الْهَدْيَ- أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ بَعْدَ الْعُمْرَةِ، وَأَنْ يَتَمَتَّعُوا؛ حَتَّىٰ يُهِلُّوا بِالنُّسُكِ الْأَكْبَرِ: بِالْحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الْعَتِيقِ.

وَأَمَّا هُوَ ﷺ؛ فَيَقُولُ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ؛ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ**»؛ يَعْنِي: لَكُنْتُ تَمَتَّعْتُ، وَلَمْ أَكُنْ قَارِنًا ﷺ.

فَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ.

«**لَا تَقُلْ: لَوْ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»، تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ قَلِقًا مُشَوَّشًا.

«مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ؛ فَالْهُ عَنْهُ»: انْسَهُ، مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ؛ فَالْهُ عَنْهُ.

الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرُ الْكِرَامِ، وَصَبْرُ اللِّئَامِ.

فَأَمَّا الْكَرِيمُ؛ فَإِنَّهُ يَرْضَىٰ بِقَلْبِهِ عَنْ قَدَرِ اللهِ فِيهِ، وَيَنْطَلِقُ لِسَانُهُ بِالرِّضَا عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَجَوَارِحُهُ لَا تَأْتِي بِشَيْءٍ يُغْضِبُ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا؛ مِنْ شَقِّ الْجُيُوبِ، وَلَطْمِ الْخُدُودِ، وَنَتْفِ الشُّعُورِ.

وَكَذَلِكَ اللِّسَانُ يَنْضَبِطُ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا يُرْضِي اللهَ جَلَّ وَعَلَا: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**»(١).

---

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٦٣١، رقم ٩١٨)، من حديث: أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»،... الحديث.

لَا يَقُولُ: وَا جَبَلَاهُ، وَا كَذَا، وَا كَذَا.. مِمَّا يَعْتَرِضُ بِهِ عَلَىٰ قَدَرِ اللهِ.

فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَكُونَ صَابِرًا صَبْرَ الْكِرَامِ.

أَمَّا صَبْرُ اللِّئَامِ؛ فَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَسَلَّىٰ عَنْ فَقِيدِهِ؛ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

هَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، جَعَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَكَذَا؛ وَإِلَّا مَا اسْتَطَاعَ الْبَشَرُ أَنْ يَعِيشُوا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.

الْأَحْزَانُ تَطْمُرُهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَكَرُّ السِّنِينَ، الْأَحْدَاثُ الَّتِي تَمُرُّ بِالْعَبْدِ يُنْسِي بَعْضُهَا بَعْضًا، وَهَذَا يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ صَبْرَ الْكِرَامِ.

وَأَمَّا الَّذِي يَصْبِرُ صَبْرَ اللِّئَامِ؛ فَسَيَسْلُو بَعْدَ حِينٍ رَاغِمًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَظَلَّ مُوَاظِبًا عَلَىٰ حُزْنِهِ إِلَىٰ الْمَمَاتِ، بَلْ سَيَخِفُّ ذَلِكَ شَيْئًا فَشَيْئًا.

فَخُذْ بِمَا يَنْفَعُكَ، وَبِمَا يَنْفَعُ مَيِّتَكَ.

ادْعُ اللهَ لَهُ أَنْ يُثَبِّتَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْمُحَاضَرَة يَوْمَ
السَّبْت: ٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّل ١٤٣٨هـ
الْمُوَافِق: ٣- ١٢- ٢٠١٦م